العادات الذميمة عند المصريات

٤

« خشونة الطبع وجفاؤه »

ذهبت سيدة مع ابنتهـا يوماً لتزور احدى صديقاتها فمكثت البنت طول الحديث صامتة كأنما كانت تفكر في امر شغل بالها الا انها كانت طول الوقت محدقة بصديقة أمها ضاحبة البيت

وعند عودتهما قالت البنت :

— عجباً يا اماه انا لا نذهب مرة لصديقتك هـذه الا وجدنا صوتها مرتفعاً تنازع الخدم مرة او تسخط على الاولاد اخرى كأن النزاع شغلها الوحيد حتى انها لا تجد حديثاً تحدثنا به الا الشكوى من الخدم والتضجر من (شقاوة) الاولاد

اجابت الام مغالطة :

— لربما تعذر في عملهـا لان من الخدم من هم سيئو التصرف الى حد يكدر صفو الانسان وكذا من الاولاد من هم أشرار الى حد يقلق راحة اهلهم

قالت البنت :

— ولماذا نحن لا نرى زوجة اخيها مرة في صفاتها وهي ذات اولاد والخدم هم هم لا يتغيرون . بالعكس نراها دائماً بمنتهى الهدو والوداعة . حركاتهـا وسكناتها تنطق بعذوبة خلقها ولطف طباعها . قط لم أرها مرة مضطربة أو متعالية الصوت . بل ان هدوّها ورزانتهـا تتجليان في حديثها ومشيها وكدرها وسرورها . فلمَ هذا الخلاف يا ترى . ولم لا تمثل (سعاد) بزوجة اخيها

رأت الأم مركزها حرجاً فقالت :

— انا لا استطيع ان اميز بين سيدة واخرى او ان أقارن صفاتهما لان هذا ليس من شأني ولا من شأنك ايضاً يا ابنتي . لكني احب ان تتخذي لك دروساً وامثلة تنفعك من كل ما تشاهدينه بدون ان تحدثي عن صفة شخص او طبع آخر

بذم أو قدح . والذي يهمني ان تتعلميه هو ان لا تنسي ابداً انه من العيب الكبير في خلق المرأة ان تكون عبوساً خشنة الطبع تضطرب وترفع صوتها لاقل سبب . فان السيدة التي ترفع صوتها او تمن في عبوسة وجهها تسقط منزلتها وتفقد اخص سمة واظهر شاهد من الاخلاق النسائية

وقد يظن البعض ان ارتفاع الصوت والخشونة من دلائل حسن الادارة بالمنازل لكن عليك ان تعرفي انه لا شيء انفذ من الكلام اللين والسياسة الحكيمة . والمرأة الكاملة لا شيء في الوجود يدعوها للاضطراب او رفع صوتها . انها ترى ذلك شيئاً جسيماً وعاراً عظيماً ان يعلو صوتها او يرتفع نزاعها مع احد ولو مرة لانها تخشى اذا فعلت ذلك مرة بعد مرة لسبب ما مهما كان داعياً ان تقع في لجة هذه العادة الذميمة فينفر من معاملتها كل انسان حيث تعود فتتمنى لو تخلص من حبائلها الغليظة ولكن لات حين مناص . لان من أصعب الامور على الانسان ان يتخلى عن عادة تأصلت فيه وخامرت نفسه فالعادات بعكس كل شيء — سهلة البناء صعبة الهدم — واليك حكاية صغيرة رووها الحكماء الاقدمون توضح لك ما اريد

« كان شاب مسافراً ذات يوم في واد قفر وقد اشتدت حرارة الشمس حتى كاد بطن الوادي يحترق وأعيا الشاب المسير اذ جف فمه وتلظى . والتصق لسانه بسقف حلقه واخار اللغوب قواه ولم يستطع تقديم رجل على اخرى الا بعناء لا مزيد عليه . فاخذ يحرك نظره يميناً وشمالاً عساه يجد ولو عن بعد ظل شجرة او مكان خضرة يستظل بها او يلتمس واحة . لكن طال ترقبه ولم يجد امامه شجيرة ولا بقعة ضئيلة يغطيها الزرع فكاد يتولاه القنوط ولكنه لبث يواصل المسير حتى ظهر له فجأة طريق صغير متشعب من طريقه وفي نهايته رأى صخرة مرتفعة تتظلل بقعة تحتها من الوادي . فامَّ هذه الصخرة حتى بلغها فوجد في اسفلها فوهة كهف تقدم اليها ودخل يتنهد تنهد الفرح الفجائي بعد اليأس والوهن وما كاد يمشي في الغار طويلاً حتى وقف مندهشاً اذ رأى امامه غادة هيفاء قد جلست كأنها بدر التم في طلعته وأمامها مغزل تديره بيدها وقد تعرى زندها فخاله الشاب قضيباً من

اللجين . بينما كانت خيوط الحرير في يدها تضيء بأشعة الشمس كأنها سيور من المسجد . واذ وقف الشاب امامها مبهوتاً تفرست فيه وتبسمت فقال :

سيدتي . اني غريب اضناني عناء الرحيل . وامضني طول النوى حتى خلت عظامي قد تفككت وقواي قد تحللت فهل لك ان تسمحي لي بان القي بنفسي قليلاً في هذا المكان حتى تعود اليَّ قواي واستطيع استئناف المسير

— بكل ارتياح لك ما تشاء . اذا أنت سمحت لي بان الف حولك هذه الخيوط الحريرية التي اغزلها وهذا كل ما اطلبه منك

اجاب الشاب وقد افتتن بجمال تلك الغادة

— افعلي ما تشائين ياسيدتي . وما هذا حتى ارفضه . لفّي خيوطك كما تريدين حين رقادي وعند ما ابلغ راحتي وارغب في الانصراف انزعيها عني

فابتسمت السيدة ثانية ورقد الشاب وقد لذت له رطوبة المكان وما لبث الاَّ قليلاً ينظر الى يديها وهي تلف على جسمه خيوط القز بخفة ونشاط . مصغياً الى أغنيتها المطربة التي لفظتها وهي تشتغل حتى غلبه النوم ونام

وبعد قليل استيقظ الشاب واراد النهوض فلم يستطع تحريك يداً ولا رجلاً . فنظر الى جسمه واذا به قد احيط بالوف من شلل الخيط لفاً محكماً ولم يجد حينئذٍ في الخيوط لمعانها الذهبي بل رآها حائلة اللون كئيبة و بأمعان النظر وجد كل شلة من هذه الخيوط تزداد في السمك والتخانة حتى تصير غليظة كالحبال الضخمة فاخذ منه الاندهاش اقصاه وصاح باعلى صوته مستغيثاً برفيقته الحسناء لتخلصه من قيوده وتفك عنه اغلاله فلم يجد جواباً على استغاثته الا ضحكة استهزاء منكرة فحول وجهه نحو الصوت واذا به يرى في مكان تلك الهيفاء الجميلة عجوزاً شمطاء

لو برزت صورتها في الدجى ما جسرت تبصرها الجن
كأنها في فرشها رمة وشعرها من حولها قطن

ومن ثم رأى شبه ظلام حالك قد خيم على بصره فاعماه حتى لم يعد يبصر شيئاً مطلقاً »

هكذا الامر في عاداتنا يا ابنتي قد يكون اولها شهياً مستحباً وعلى رغبتنا ولكنها لا تلبث ان تنقلب الى صرة شنيعة نحاول الهرب منها فلا نرى مناصاً . فلتحذري ان تعملي عملاً لو تكرر منك تخشي ان يصبح عادة ذميمة معك تندمين عليها . ولتجتهدي في ان تكون عاداتك حسنة فاضلة لا تحيين كسرها واقتلاعها بل بالعكس تتمنين تقويتها ونموها اكثر فاكثر حتى يكون فيك مجموعها خلق السيدة الكاملة باتم المعاني

قالت البنت مقبّلة أمها شكراً :

عرفت ذلك يا أماه ولكن احب ان تزيديني معرفة في الخدم وسياستهم والاولاد وتربيتهم لاني ارى السيدات خبطنَ في عرض هذه الشؤون خبط العشواء وكلهنَّ يشكون مرّ الشكوى وليس من يعلم أين وجه الخطأ

اجابت الأم

— يسرني جداً ان اراك تتوقين الى الوقوف على مثل هذه الامور الهامة لان على معرفتها يترتب نجاح ربة البيت النجاح الباهر في ادارة شؤون منزلها ومعاملة من يلوذ به . واني سأتحين الفرص عند خلوي من اشغالي الكثيرة لاحدثك فيما ترغبين

اسكندر ابرهيم يوسف

المرأة

« نقلاً عن كتاب الصحائف السود لولي الدين بك يكن »

ألا ما لسيدتي ناجبه بروحي مدامعها الساكبه
يكاد على خدها الاحمرار يبين لناظره لاهبه
وليست بمعرضة في دلال ولكن ارى انها غاضبه
ألا صدقت هذه العبرات وقد كنت أحسبها كاذبه
لمن يذخر الود مسلوبه اذا هو ارضى به سالبه